المشرق

مئة سنة

في خدمة الدين والهيئة الاجتماعية

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

روى حضرة الاب لويس رنوڤال في مقالة سابقة باي طريقة عجيبة اقام الله الرهبانيَّة اليسوعيَّة بعد هبوطها وبعثها بعد ان تباشر اعداء الدين بموتها ودفنها الى ابد الدهر كأنَّ ابن الله اراد ان يشرك بمجد قيامته الجمعيَّة المنتمية اليه والمشرَّفة باسمه كما شركها ببوان موته

وكأني بالقارئ يسأل هنا وما هي الخدم التي ادَّتها جمعيَّة يسوع بعد قيامتها لعالم الدين وللمجتمع البشريّ ؟ أيا تُرى هل حقَّقت آمال الكنيسة فيها ؟ أوَما عدلت عن محجَّة اسلافها الكرام وخالفت سُنَن اجدادها العظام ؟

انَّ الجواب على هذا السؤال يستدعي تاريخاً موسَّعاً للرهبانيَّة اليسوعيَّة في مدَّة القرن الاخير الذي قطعت شوطهُ بعد استئناف حياتها . وهذا التاريخ قد باشر به رجال موثوق بعلمهم ونزاهتهم وهم يتقدَّمون عليه اوَّلاً تاريخ الرهبانيَّة في كلّ بلد ودولة بمفردها حتى اذا انجزوا تلك الاقسام يمكنهم جمعها في تاريخ واحد عموميّ وذلك ممَّا لا يتمّ الَّا بمجلَّدات عديدة ضخمة

وغاية ما يسوغ لنا ان نعرضهُ هنا على قرَّائنا خلاصة تلك الاعمال بوجه الاجمال او بالحري تَعداد البعض منها ليقفوا بها على مساعي جمعيَّة يسوع في سبيل الدين والهيئة الاجتماعيَّة كما فعلنا سابقاً بمناسبة مواسم ويوبيلات رهبانيَّات غير رهبنتنا . وتسهيلاً لذلك نقسم مقالتنا الى اربعة اقسام نبيِّن فيها بالتوالي خدم الرهبانيَّة للكرسي

الرسولي ثم للدين الكاثوليكي عموماً ثم للهيئة الاجتماعية واخيراً للمعارف والعلوم

ويحسن بنا قبل الشروع بالعمل تنبيه القرّاء على اننا لسنا نروم بهذه العجالة أن نطلب لرهبانيّتنا فخراً بشرياً او ان نفضلها على سواها في شيء فماذا لله ان نفتخر الّا بالربّ او ان نبخس في شيء فضل سائر الرهبانيّات التي تؤدي الكنيسة خدماً لا تُحصى وليست الرهبانيّة اليسوعيّة الّا فرعاً من دوحتها بل اصغرها فهي تلك حبّة الخردل التي نمت بيده تعالى وصارت شجرةً كبيرة وانما المجد لذاك الذي يُنهض المسكين من الحضيض ويقيم الذليل من الدقعاء ليجلسهما مع امراء شعبه. فان كانت سلالة القديس اغناطيوس أتت ببعض الثمار الصالحة في بيرة المئة السنة الاخيرة فانّ ذلك لا يعود الى من غرس او الى من سقى سواء دُعي ابولّو او كيفا بل يعود الى الله وحدهُ سبحانهُ وتعالى الذي أعطى الشجرة النموّ والإثمار. ليكن اسمهُ مباركاً الى آخر الدهور

١ الرهبانيّة اليسوعيّة والكرسي الرسولي

أنشئت الرهبانيّة اليسوعيّة قبل كل شيء لخدمة رؤساء الكنيسة العظام وأحبارها الاجلّاء. هذا ما أعلن به اغناطيوس دي لويولا مشيّد اركانها سرّاً وعلناً شفاهيةً وكتابةً في رسوم رهبانيّته. حسبك دليلاً على ذلك نذرٌ حافلٌ يتقيّد به اخصّ ابنائه وهو نذر الطاعة للحبر الروماني بحيث يستطيع رأساً ودون توسّط ان يُرسل الراهب اليسوعي الى اي بلد كان من بلاد الله لشؤون الكنيسة دون زاد ولا مؤونة مستطيباً كالفقراء في طريقه

وليس هذا النذر وعداً دون مفعول او حبراً على ورق فانّ خلفاء هامة الرسل انتدبوا غير مرّة ابناء الجمعيّة اليسوعية لقضاء بعض الاعمال الشاقّة التي لا يقوم بها الّا ذوو العزم الشديد والهمّة القعساء. فمن ذلك سفارة سرّية كان وكلّ بها الحبر الاعظم بيوس السابع الى الاب قارين فقضاها في المانية ونجّى بذلك الكنيسة من خطر عظيم. ومنها مساعدات روحيّة تولّاها اليسوعيّون في روسيّة لدى الروثانيين الكاثوليك الذين كانت الدولة الروسيّة غصبتهم على اتباع دينها وحجزت عنهم كل الكهنة الكاثوليك. لكنّ اليسوعيين اجابوا الى رغبة قداسة البابا بيوس التاسع

فعرّضوا نفوسهم الى الموت او الى السجن المؤبد فدخلوا روسيّة متنكّرين وثبّتوا اولئك المنكوبين في دينهم. وتعرف منهم اثنين مات الواحد من الاذى الذي اصابهُ مدّة تجوّلهِ في روسيّة وألقي الثاني في السجن فبقي فيهِ عدّة سنين حتى نال امبراطور النمسة من القيصر تخلية سبيله

وقد ظهرت ثقة الكرسي الرسولي بالرهبانيّة اليسوعية في احوال متعدّدة منها انَّ الاحبار الرومانيين رغماً عن امتناع رهبانها لنذر يندرونهُ برفض كل الامتيازات والمناصب الشرفيّة في الكنيسة نظّموا بقوّة سلطانهم سبعة من رهبانيّة يسوع في صفّ الكرادلة لينقطعوا تماماً الى خدمة الكرسي الرسولي. ذاك فضلاً عن كثيرين آخرين دعاهم الاحبار الرومانيون ليساعدوا المجامع المقدسة في مهمّتها ويحلّوا ما يرد عليها من المشاكل من انحاء العالم الكاثوليكي

ولمّا رأى نوّاب السيد المسيح ما صارت اليهِ المدارس من التقهقر بعد الثورة الفرنسوية والفتن في رومية وجّهوا انظارهم الى الرهبانيّة اليسوعية وبعثوا الكلية الغريغوريّة التي هي اليوم من ازهر الكليّات الدينيّة في العالم عدد تلامذتها ١٥٠٠ طالب. وقد عهدوا مدّةً رئاسة المدرسة الاوربانيّة لانتشار الايمان الى همّتهم. وكذلك اعرب الحبر الاعظم الحالي عن هذه الثقة عينها بدرايتهم اذ سلّمهم ادارة وتدريس العلوم الكتابيّة قبل خمس سنوات كما انهُ استدعى احد اليسوعيين لمراقبة المرصد الفاتيكاني وجعل سلّمهُ راهباً منهم لتنظيم المكتبة الفاتيكانيّة الشهيرة

وكان لليسوعيين حصة صالحة في اعمال المجمع الفاتيكاني بصفة لاهوتي المجمع ومهيّئي مواد المباحث. كما انهم جمعوا كل البينات التاريخيّة والطقسيّة والتقليديّة المثبتة الحبل الطاهر بريم العذراء خلافاً من الخطية الجدّية ما عدا بالحبر الروماني ان يعلن سنة ١٨٥٤ هذه الحقيقة وينظمها في سلك العقائد التي لا يجوز نكرانها. وقد طُبعت تآليفهم في عدّة مجلدات ضخمة تبكم كل من يحاول ردّ هذا المعتقد الجليل

٢ الرهبانيّة اليسوعيّة والدين الكاثوليكي

لم تقصر الرهبانيّة اليسوعيّة همّتها على مساعدة الكرسيّ الرسولي وحدهُ بل تشمل تلك الهمّة الكنيسة جمعاء والدين الكاثوليكي عموماً

وبديهيٌ انَّ حياة الكنيسة تقوم بالروحيّات وبممارسة الفضائل المسيحيَّة وذلك مما يحتاج الى مرشدين ومعلّمين ينهجون للامم السالك القويمة وينكبون بطالبيها عن موارد الضلال. وهذه مهمة التبشير والانذار من اوّل واجبات اليسوعي يقدّمها على سواها فانَّهُ حيثما حلَّ يُسرع الى نشر تعليم الخلاص بالمواعظ والارشادات والانذارات والمحاضرات فكأنَّهُ يخصُّ بنفسه الكلمة الرسولية : « الويل لي ان لم ابشر فانَّ الضرورة تضطرني الى هذا العمل » . ولا حاجة الى القول انَّ اليسوعيين الوعّاظ في هذا القرن الخامس عشر لم يدّعوا بادئاً الّا اسموا فيه كلام الله مباشرةً باصغر المعابد واحقرها الى منابر الكنائس الكاتدرائيَّة ككنيسة مار بطرس في رومية وكنيسة نوتردام في باريس وذلك في كلّ لغات العالم المعروفة. ولو جُمعت تآليف المواعظ التي ألقوها سواء نُشرت بالطبع او لم تُنشر لبلغت الوفاً مؤلفة منها لرجال ادركوا حدود البلاغة البشريَّة كالاب ماك كرتي (Mac Carty) والاب دي راڤنيان (de Ravignan) والاب فاليكس (Félix) والاب زكي (Zucchi) والاب ڤون (Vaughon) ومئين غيرهم. واكثر منهم الذين وقفوا نفوسهم الى ارشاد الصغار وتلقين الاحداث المبادئ الدينيَّة لترسخ في عقولهم منذ نعومة اظفارهم بموجب احد قوانينهم

وكثيراً ما تكون تلك المواعظ سلسلةً متواصلة على صورة رسالة او رياضة تدوم اسبوعاً او اسابيع ربما يأخذ السامعون كفئهم من تعاليم الخلاص. ولا يخفى انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة اصابت دائماً في ذلك قصبة السبق لجريها على طريقة رياضات القديس اغناطيوس مؤسّسها التي تضمن لمتبعيها تنوير القارب وردّها الى الله خالقها بالتوبة النصوح. وهذه الرياضات قد انتشرت في كلّ الانحاء حتى ألفها معظم الشعب المسيحي وهي كل يوم تبهج الكنيسة جمعاء بما تنشره من ثمار الخلاص. وقد اشتهر كثيرون من اليسوعيين في القائها على الجماهير كالاب مكسيم دي بوسي (M. de Bussy) في فرنسة والاب رهو (Rho) في المانية. وربَّما كان عدد السامعين يبلغ الوفاً وربوات تضيق بهم اكبر الكنائس فكانوا يتخذون سهولاً واسعة لارشادهم. قيل انَّ المرسلين في بولونية كانوا يعظون امام خمسين الفاً بنيف وانَّ اكثر من ثلثمائة كاهن كانوا يسمعون اعترافات الحضور فلا يكفون للعمل

ومن هذه الرياضات ما يخصّص لصلاح الاكليروس وتقديس الكهنة يجتمع فيها الى نحو مائتي كاهن فيجدّدون روحهم الكهنوتيّة تحت ادارة احد الآباء اليسوعيين . ومنها ما يدعونهُ بالرياضات المُقفلة (retraites fermées) غايتها الانقطاع في العزلة الى الامور السماويّة تماماً بمناجاة الله وتأمّل الحقائق السرمديّة مدّة اسبوع او اكثر ينال المتروّضون بها نعماً خلاصيّة لا تقدّر

ولا خفاء بانّ الحياة الروحيّة تنمو في الكنيسة بالمواظبة على الاسرار وباخصوص سرّي التوبة والقربان . ولذلك ترى كهنة الرهبانيّة اليسوعيّة يصرفون قسماً كبيراً من حياتهم في تعميم هذين السرّين الكريمين لا يأخذهم في ذلك سأم ولا يثني عزمهم مشقّة ولا تعب قياماً بقوانينهم فيبحثون على مثال الراعي عن النعاج الضالّة ليردّوها الى الحظيرة ويحيوها بالمناجع الخلاصيّة . وقد كانت حرارة المؤمنين قد فترت بفعل الثورة والاضاليل العصريّة بعد الغاء جمعيّة يسوع فلمّا أُعيدت لها الحياة بادر رهبانها الى انعاش روح التقوى في المؤمنين بالمثابرة على الاسرار . ولو اردنا مقايسة ما تصنعهُ الرهبانيّة في انحاء المعمور على ما نراهُ هنا في رسالتنا السوريّة وما عايناهُ في غيرها وجب القول بانّ عشرين مليوناً من الكاثوليك على الاقلّ ينالون سنويّاً نعمة الاسرار بواسطة اليسوعيين

ولطائفة يسوع وسائل أخرى لانماء روح الدين والتقوى في الكنيسة نريد بها العبادة نحو قلب يسوع الاقدس ونحو مريم العذراء. فانّ الرهبانيّة اليسوعيّة قد اخذت على نفسها نشر اكرام القلب الالهي ودعوة البشر الى محبته لانّ من هذا القلب تصدر كنوزُ نعمٍ سابغة تغمر المتعبدين لهُ وتعضدهم في كل حاجاتهم الروحيّة والزمنيّة . وبناء عليه يستفرغ اليسوعيّون قصارى جهدهم في بيان فضل هذه العبادة وفوائدها الجمّة سواء كان بالمواعظ او بتأليف الكتب او بالمشاريع التقوية . فاليهم يُنتسب الفكر في تشييد هيكل قلب يسوع على ربوة منتسرتر في باريس فان الاب هنري رامياز (H. Ramière) كان في مقدّمة الساعين بذلك بعد حرب فرنسة سنة ١٨٧٠ . وكذلك الزيارات السوميّة الى كنيسة پاري لو منيال (Paray - le - Monial) حيث ظهر القلب الاقدس للطوباوية مرغريت ماري الاكوك . فكانت الجماهير المجتمعة من كل جهات اوربة واميركة تتقصد ذلك الزاز بكل رونق وبهجة والى

اليوم بقايا من تلك الحركة العجيبة التي كان محرّكها الاعظم الاب دروتون (Dre-von) اليسوعي. اما النشرات الدورية لنشر هذه العبادة فهي تكاد لا تحصى. ومن اخصها « رائد قلب يسوع » (le Messager du Sacré-Cœur) الذي ظهر اوّلاً في فرنسة بهمّة الاب رامبار منذ خمس وخمسين سنة (١٨٦١) ثمّ جاراهُ اخوتهُ في بقيّة انحاء العالم وهم ينشرونهُ اليوم مشاهرةً في ٣٠ لغة و ٤٥ طبعة مختلفة يُعَدّ قرّاؤهُ بالملايين. ويقارن الرائد المذكور نشرة رسالة الصلاة (Apostolat de la Prière) المنتشرة اليوم في سائر العالم الكاثوليكي

وما نقولهُ عن العبادة للقلب الاقدس يصحّ عن اكرام العذراء الطاهرة فانّ الرهبانيّة اليسوعية لا تنفصل الامّ عن الابن وساعيها في نشر التعبد للبتول المجيدة معروفة فهذه لاسيما الاخويات المريميّة التي لا يخلو منها مكان فان مؤسّسها احد اليسوعيين والسعاة بتوفيرها ابناء القديس اغناطيوس وقد حذا حذوهم الكثيرون من الكهنة العالميّين والرهبان فأقاموا اخويّات على مثالها. وقد مرّ ذكر مساعيهم المشكورة في تثبيت عقيدة الحبل بريء العذراء الطاهر من كل دنس — ومن اعمالهم في هذا القرن الاخير نشر عبادة الشهر المريمي وقد افردت مجلّتنا (المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٣٨٥) مقالةً خاصّة لتاريخ هذه العبادة التي تمارسها اليوم كل النفوس التقوية. ومن مشروعاتهم في اكرام العذراء اقامةُ اعظم تمثال في العالم لذكرها وهو تمثال سيّدة فرنسا (N.-D. de France) في مدينة پوي (le Puy) طولهُ سبعة عشر متراً وهو مسبوك بالمدافع التي اخذها الفرنسويون في القريم من الروس. والساعي بذلك الاب رامبار اليسوعي

وكذلك التعبّد للقديس يوسف قد زاد في هذا القرن السابق زيادةً عظيمة بمساعي كثيرين من الرهبان اليسوعيين. ومما نشروهُ شركة الميتة الصالحة تحت حمايته وهي شركة قديمة انشأها سابقاً احد اعضاء جمعيّتهم فجدّدوها بعد رجوعهم. ومنها شركة العائلة المقدّسة للاب فرنكو التي اثمرت ثماراً طيّبة بين العيال المسيحيّة

ومن الوسائط التي يتّخذها اليسوعيّون لتوثيق عُرى الدين والجهاد ضدّ الكفر وضعُ المؤلّفات الدينيّة. لدينا لوائح التأليفات السنويّة التي يصنّفها اليسوعيّون في كل اقطار العالم فاذا هي تبلغ بين كبيرة وصغيرة نحو الخمسة آلاف عدًّا. فنصف هذه

التآليف في العلوم الدينيَّة على اختلاف اشكالها حتى لا تجد باباً واحداً من ابواب الدين وبحثاً واحداً من ابحاثه الَّا ولبعض اليسوعيين فيه مصنَّفات جديدة فانظر يا رعاك الله الى اي عدد يبلغ مجموعها في مدَّة مئة سنة في الدينيَّات ومتعلَّقاتها. وقد امتاز بينهم قوم في كلّ علم منها يشار اليهم بالبنان ويُعتَدُّون فيه حجَّة. هذا اللاهوت النظري اشتهر فيه پرُّونه (Perrone) وپلِيماري (Palmieri) والكردينال فرنزلين (Franzelin) والكردينال مازلَّا (Mazzella) والكردينال بيليو (Billiot) وكارتغن (Kleutgen) وهُرتر (Hurter) وغيرهم كثيرون ترين مصنَّفاتهم مكاتب الخاصَّة — وهذا اللاهوت الادبيّ يفتخر بمؤلَّفات غوري (Gury) وبالَّريني (Ballerini) وجانيكو (Génicot) وفرَّارس (Ferreres) ونولدين (Noelding) وبوكشروني (Bucceroni) ولهمكهول (Lehmkuhl) التي يتداولها كلّ من يريد ان يُحكم فنّ الفتاوى الدينيَّة — وهذا الكتاب المقدَّس الذي يركز في شرحه الاب پتريزي (Patrizzi) والآباء الالمانيُّون هُملاور (de Humm-lauer) وكتابنباور (Knabenbauer) وكورنلي (Cornely) والاب كورلوي (Corluy) والاب بروكر (J. Brucker) والاب ف. پرا (F. Prat) — وهذا التاريخ الكنسي برع فيه الاب غريزار النساري (Grisar)) والاب پرا (J. M. Prat) الفرنساوي والاب فيتا (Fita) الاسباني — وهذه الجامع احرز له في نشرها اسماً طيِّباً الاب غراندراث (Grandrath) وآباء دير ماري دي لاخ (Lacenses) — وهذه آثار الآباء قد احيا كثيراً منها الكردينال ماي (A. Mai) والاب دالس (d'Alès) — وهذا الحقّ القانوني فيه للآباء ڤلادا (Villada) وڤرمرش (Vermeersch) واوجتي (Ojetti) والرئيس العام الحالي على الرهبانيَّة اليسوعيَّة الاب ڤرنس (Fr.-X. Wernz) تآليف جليلة — وهذه تراجم القديسين لا يُعرَف في العالم كلِّه جماعة تُعنى بنقدها ونشرها كجماعة البولنديين وهم يسوعيُّون يلجكيُّون يُرجع اليهم في كلّ ما ينوط باعمال اولياء الله من اوَّل النصرانيَّة الى عهدنا. وقس عليها بقيَّة العلوم الدينيَّة كتفنيد اضاليل المراطقة والزنادقة وكالدفاع عن الدين بازاء السفسطات والمزاعم العصريَّة وكايضاح المسائل الدينيَّة العموميَّة والخصوصيَّة

ومن خدم اليسوعيين للدين الكاثوليكي مساعدتهم على انشاء جمعيَّات رهبانية

افادت الدين كثيرًا لاسيما بين النساء كراهبات السجود وراهبات قلب يسوع وراهبات الناصرة وراهبات الرياضات وراهبات بنات مريم. ومما لا ينكر انَّ الجمعيات الرهبانية المستحدثة تجري في الغالب على قوانين القديس اغناطيوس مع بعض اختلافات عرضية. وكثير منها قد اتخذ رؤساؤهم يسوعيين لارشاد رهبانهم وتهذيب طالبيهم

فيلوح مما سبق انَّ الدين وجد في جمعية يسوع عضدًا قويًا مكَّنهُ من ردّ غارات اعدائهِ ومن الفوز بما كسبه . .

٣ الرهبانية اليسوعية والهيئة الاجتماعية

لكنَّ خدمة الرهبانية اليسوعية للدين لا تشغلها عن خدمة الهيئة الاجتماعية بل لا تخدم الدين الَّا لمنفعة المجتمع البشري وخيرهِ الاعظم لانهُ من المقرر ان الدين هو اقوى اركان المجتمع الانساني وحيث يعدم الدين يعود الناس الى الهمجية

واول ما يفيد الهيئة الاجتماعية تهذيب الناشئة فانَّ ولد اليوم سيصبح رجل الغد ومستقبل الاحداث متوقف خصوصًا على حسن تربيتهم. وغنيٌّ عن البرهان انَّ الرهبانية اليسوعية منذ ظهورها في اواسط القرن السادس عشر عُرفت بتفانيها في تثقيف الناشئة حتى ضُرب المثل بحسن تربيتها. وقد رأيت في مقالة العدد السابق ما قالهُ مشاهير الرجال في سرعة الشبيبة بعد انضاء الرهبانيَّة اليسوعية. فقضى اذن على ابناء القديس اغناطيوس ان يسرعوا في رتق هذا الخرق المشؤوم ومن ثمَّ أنفذ اليسوعيون وسعهم في فتح المدارس وتنظيمها بموجب سننهم الموروثة من اجدادهم. فما لبث احداث كلّ الدول ان تقاطروا الى مدارسهم ايستقوا من منابعها مع المعارف البشريَّة افاويق التقى والتهذيب الدينيّ. فحيثما كانت تُطلق الحريَّة الكافية لرهبانيَّتنا بان تدير المدارس وتثقف الاحداث كان النجاح اليف مساعيها وتلامذتها في مقدّمة تلامذة مدارس غيرها كما هو الجاري اليوم في اسبانية والنمسة والمجر وبلجيكة وهولندة وانكلترَّة والولايات المتحدة مهما تشدّق البعض بقولهم ان مدارس الرهبان دون سواهم في العلم. والدليل على فضلهم انَّ اعداء الكنيسة لا يضبطون زمام السياسة في دولة الَّا تحاملوا على تلك المدارس وافرغوا كنانة جهدهم في النائها خوفًا من ظهور وقيها على مدارسهم اللادينيَّة كما فعلوا في ايطالية

والمانية وسويسرة وفرنسة والبرتغال حيث غلبت الماسونيّة وأتى التعليم اللاديني باثاره الوبيئة باستفحال احزاب الاشتراكيين وقيامة اهل الفوضى وازدياد الجرائم في الشبيبة الى حدّ تقشعرّ منهُ الابدان هاماً

وتتناول تلك المدارس كلّ طبقات الشعب من الفقراء والأُمّيين الى ابناء الامراء والاعيان فيثقفهم اليسوعيُّون على موجب اصلهم ويشحذونهم لمناصب بلادهم وقد زرنا البعض منها او بلغتنا سمعتُها الطيّبة كبومنت (Beaumont) وستونيهرست (Stonyhurst) في انكلترّة وكلكسبورغ (Kalksbourg) في النمسة وفلدكرش (Feldkirch) فيا لتهذيب الالمان وكالوتشا (Kalocsa) في المجر وكمدرسة القديسة جنفياف (la rue des Postes) في باريس ومدرسة الاشراف في مدريد ومدرسة الاعيان في رومية (Collegio Massimo) ومدرسة خيروف (Khirow) في غاليسية

وزد عليها مدارس اخرى حافلة لتهذيب الاكليروس كمدرسة اناني (Anagni) التي سلّمها البابا لاون الثالث عشر للرهبانية اليسوعيّة ومدارس جنوبي ايطالية التي دعاهم البابا الحالي الى تهذيبها والمدرسة الاميركانيّة الجنوبيّة في رومية (Collegio Pio Americano) وغيرها في بلاد شتى

وكم لليسوعيين ما خلا المدارس من مشاريع خطيرة يخدمون بها كلّ جيل من الالة الاجتماعيّة اخذُها مما يدعونهُ اليوم بالدوائر (cercles) او الشركات (syndicats) يجمعون فيها ضروباً من اصحاب المهن كالاحداث او الشبان او آباء العيال او الفتية او طلبة المدارس او دارسي الفنون الجميلة فيسمون في ذوالجهم المادّيّة والادبيّة ويسبلون لهم اشغالهم لكسب معاشهم او يهتمّون بترويج بضائعهم او يربّون اولادهم ويعدّونهم لقبول الاسرار او يقيمون لهم حفلات لترويح اذهانهم وتهذيب عقولهم كالدائرة التي انشأها الاب تكسيه (Texier) في مرسيلية ونوادي الاب ميلريو (Millériot) في باريس وشركات الاب آبل (Abel) في ڤينّة ونادي طلبة الطبّ الاب بريزار (Brésard) في ليون ومجتمعات العمّلة في ارلندة ومنشستر وانحاء بلجيكة . وقد اتت هذه المشروعات الهيئة الاجتماعيّة بفوائد لا يفي بها احصاء يقوم بها كلّ من يسعى بخير الشعب

وهناك امور أخرى شاقة قام بها اليسوعيون ويقومون كل يوم اعني زيارة المحبوسين وتوبيخهم بالتعازي الدينية واسعافهم في حاجاتهم الزمنية. وقد طلبوا غير مرة ان يخدموا الذين حُكم عليهم بالزمان والاشغال الشاقة المخلدة فرعظوهم وردُّوهم الى التوبة بعد حياة مملوءة من الآثام كما فعلوا خصوصاً في طولون (bagnes de Toulon) بل طلبوا ان يرافقوا المنفيين منهم الى كايان (Cayenne) فماشوا بينهم وكسبوهم الى الله وقد وكلت الحكومة الفرنسوية الى اليسوعيين في الجزائر تربية اولاد الفوضويين وابناء المجرمين ففعلوا وجعلوا اولئك الذئاب بعد ترويض اخلاقهم الشرسة وإشرابهم روح الاستقراط وعمة صالحين نفعوا وطنهم بانواع شتى وكان الاب امبرواز مونو (A. Monnot) احد رؤساء رسالتنا السورية ومنشئ كليتنا البيروتية ممن خرَّجوا اولئك الاولاد في الآداب والدين — ومنها خدمتهم للعساكر سواء كان في وقت السلم او في الحرب. ففي حروب الفرنسويين في الجزائر وفي القريم وفي الحرب السبعينية كان عدد وافر من اليسوعيين يرافقون الجيوش ويشاطرونهم الاهوال ليساعدوهم في اخطار القتال ويزوّدوهم بالاسرار الدينية. وهناك ساعة مدرستنا الكلية من آثار شكر الحكومة لليسوعيين بعد حرب القريم اعدتهم اياها لا أبدره من الغيرة في اسعاف الجنود — واليوم في خدمة العسكرية الانكليزية نحو ثلاثين من اليسوعيين الانكليز والارلنديين

ومما افاد به اليسوعيون الامة البشرية تلك المؤتمرات الكاثوليكية التي شاعت اليوم في بلاد متعددة كالمانية والنمسة وانكلترة وفرنسة حيث يجتمع سنوياً زعماء الكاثوليك ليتفقوا على الوسائل الواجب اتخاذها لترقية امور الدين وتعزيز المشروعات الكاثوليكية الخيرية والوطنية فان اليسوعيين ممن آزروا تلك المؤتمرات وعضدوها على قدر طاقتهم وقاسموا اعضاءها اشغالهم حتى اصبحت اليوم احدى قوات الكثلكة المشهود لها بالنفوذ العظيم فأقرَّ البروتستانت انفسهم بفاعليها العجيبة

ولا بأس ان نذكر هنا ما لجمعية يسوع من التآليف الآئلة الى خير المجتمع الانساني. فانهم كتبوا في كل الابحاث التي يتداولها الاختصاصيون في زماننا لتحسين احوال الهيئة الاجتماعية وحل المشاكل العديدة التي نجمت من تغيير امور الشعوب في عهدنا ليُعطى كل ذي حق حقَّه دون ان يُظلم الضعفاء ودون ان تُبخس حقوق

السادة ارباحهم . ولهم نشرات ومجلات تبحث في هذه المسائل في لغات مختلفة فضلاً عن عدة كتب مختصة بتلك الابحاث الاجتماعية

٤ الرهبانية اليسوعية والعلوم

يفتخر عصرنا بنشر المعارف وانتشار العلوم حتى كادت تسكره نشوة اختراعاته الجولية التي ما كانت تخطر على بال الاجيال السابقة . وخدمة العلوم من احدى خاصيات الرهبانية اليسوعية منذ اول نشأتها لا ينكرها عليها حتى اعداؤها . ولما استوثقت حياتها بقوة براءة البابا بيوس السابع وجهت فكرها الى نشر العلوم البشرية بأسرها لكي تثبت للعالم بأن الدين والعلم اخوان شقيقان لأب واحد هو ابو الانوار واضع اركان الدين كما هو منشئ العلوم دون استثناء

وتحقيقاً لهذه الغاية لم تكتفِ الرهبانية اليسوعية بفتح المدارس الثانوية بل عمدت الى معاهد علمية ارقى منها بانشاء الكليات الجامعة حيث تُدرَّس العلوم العليا كالهيئة والرياضيات والطبيعيات والكيميا والطب والحقوق وطبقات الارض . وهذه الكليات تبلغ اليوم فوق الثلثين (راجع مقالة الاب ل . رنڤال في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٤٠١) يعلم فيها رهبان يعتبرون كاساطين العلم في عيدنا يجلسون في جملة ارباب المعارف في مؤتمراتهم العلمية ويجارونهم في كل ابحاثهم . ومحتوم على الرؤساء ان يختاروا في اقاليمهم المرؤوسين الذين يرونهم اجدر بالنجاح في تلك العلوم ليخصوهم بها

ومن جملة المعاهد العلمية التي يسعى اليسوعيون برقيها المراصد الفلكية التي شيدوها في اقطار عديدة يربي عددها اليوم على الثلثين في اوروبة واميركة وافريقية وآسية منها لرصد حركات الافلاك عموماً ومنها للانواء والمظاهر الجوية ومنها لمراقبة الحركات المغناطيسية والكهربائية والزلازل وبعضها تعنى برسم الخارطة السماوية وغيرها تأخذ رسوم الشمس في تقلباتها واجيج نيرانها كما يفعل مرصد ستونيهرست الذي خصصنا به مقالة (في المشرق ٩ : [١٩٠٦] : ٨٩٩) . ومديرو هذه المراصد كلهم رجال مختصون بالعلوم لهم اختراعات نالوا امتيازها في المجامع العلمية ذكرنا بعضها في مجلدات المشرق السابقة . وقد اضحت اسماء الاباء ڤيكو (Vico) وسكي

(Secchi) ودي شفرنس (de Chevrens) وهاغن (Hagen) وبري (Perry) وسدغريفس (Sidgreaves) ولافونت (Lafont) وألفه (J. Algué) وغيرهم كثار على علم

ولهذه المراصد نشرات خطيرة ينشئها اصحاب كل مرصد ويبادلون بها منشورات المراصد الدولية. وقد بلغ خطر بعضها الى ان اخذت الحكومات على نفسها بان تدفع نفقات طبعها كما تفعل حكومة الولايات المتحدة في مانيليا وفي جورجتون

على انَّ الرهبانية اليسوعية تفضل على سائر المعارف الانسانية الفلسفة والعلوم النظرية فان عدد فلاسفتها ذوي التآليف المعتبرة يُحصَون بالعشرات حتى النسات كالاباء طونجيورجي (Tongiorgi) وليبراتوري (Liberatore) وسكافيني (Scaffini) وكرنلدي (Cornoldi) في ايطالية وكاتَرين (Catherein) وفريك (Frik) وبودر (Boedder) وبيش (Pesch) في المانية وكالاب دي سان (de San) وفاندر آا (Van der Aa) في اسبانية وبلجكة — ولا ينسى اليسوعيون الرياضيات والطبيعيات برزَ منهم فيها كثيرون كالاباء جوبر (P. Joubert) وبابين (Pépin) وفاطون (Faton) وميشال جوليان (M. Jullien)

ومما يشهد على اعتناء اليسوعيين بالعلوم التآليف العلمية التي ينشرونها سنوياً في العصور فانها تتناهز الالف في كل عام يصنفها رجالهم الاختصاصيون في كل مطالب العلوم. وبعض هذه التآليف قد كأللتها الجمعيات العلمية وجازت واضعيها بامتيازات شرفية ومبالغ مالية ذات شأن

هذا فضلاً عن نحو ثلاثين مجلة في عدة لغات تشمل مقالاتها كل دائرة المعارف البشرية ومنها ما اناف عمرها على خمسين سنة كمجلة التمدن الكاثوليكي (Civiltà Cattolica) ومجلة الابحاث (Etudes) ومجلة الاصوات (Stimmen) الخ

ولليسوعيين في باجكة واسبانية وهولندة واميركة نوادٍ لدرس العلوم الميكانكيَّة والرسوم والهندسة والفنون الجميلة (Instituts techniques) يقصدها الاحداث من انحاء الاقطار ليحرزوا شهاداتها

ومن خدم اليسوعيين للعلوم اهتمامهم بالآثار القديمة واستخراجها من بطن

الارض. اخصّها مآثر ديامس رومية فانّ الاب مركي (Marchi) نال في ذلك شهرة عظيمة وهو استاذ الكنت دي روسي (de Rossi) اكبر الاثريين في القرن المنصرم. وكذلك الابوان غاروتشي (Garucci) مؤلف الكتاب الخطير « تاريخ الفنون النصرانيّة» (Storia dell'Arte Cristiana) في ستّة مجلّدات ممتعة مع تصاوير بديعة. وبوناڤنيا (Bonavegnia) الذي يشتغل حالاً في تلك الآثار

واشتهر في فرنسة ثلاثة يسوعيين يُعدّون انمّة في فنّ الآثار وهم الاب مرتين (Martin) والاب كاييه (Cahier) والاب دي لاكروا (de la Croix) فاشتغل الاوّلان بوصف الابنية الدينيّة القديمة ونقوش الكنائس وزجاجاتها المصوّرة. اما الاخير فاثار من بطن الارض مدناً كاملة كان اخفى عليها الدهر فاصاب من الفخر ما حدا بالجمعيّات العلميّة ان تنظمه في سلكها وتجازي اكتشافاته بالجوائز الشرفيّة وقد اقامت له بعد وفاته آخرًا تمثالاً مشيرةً الى فضله. ومثلهم الاب پاليو (P. Pailloux) مهندس مدرستنا الكليّة فانهُ نشر كتاباً كبيرًا عن هيكل اورشليم هو تحفةٌ في بابهِ

ومن هذا القبيل مجاميع متحفية نفيسة عُني بتأليفها بعض اليسوعيين كمتحف للنقود القديمة والآثار في مدرسة كالكسبورغ ومدرسة مدريد ومدرسة بروكسل وبعض مدارس اميركة. وكمتحف التاريخ الطبيعي كالحجارة والمعادن في فلدكرش ومدرسة سان لويس والنباتات والحشرات كمتحف الاب طوران (P. Torrend) في البرتغال وكمتحف الفراشات للاب دي جوانيس (de Joannis) في باريس ومتحف الطيور في مدرسة شيكاغو وكلها ممدودة بين اكمل المجاميع واحسنها نظاماً

هذا فضلاً عن المكاتب المنظّمة التي يهتمّ اليسوعيّون بانشائها وتنظيمها حيثما حلّوا فانّ حذقهم في هذا الباب معروف وليست في عهدنا مكاتب عدّة مدن وبلديّات في اوربّة سوى مكاتب اليسوعيين ضبطوها عند تنظيمهم كما ترى في مكتبة ليون القديمة التي لا تزال صورة الاب منستريه (Ménestrier) ناظرها القديم منصوبة في صدرها. ومن المكاتب الجديدة التي انشأوها في العصر الماضي مكتبة البولنديين في بروكسل يقصدها الزوّار من كلّ جهات العالم اذ لا تماثلها اخرى في ما يتوط بالقديسين واوليا. الله. ومكتبة المدرسة الرومانيّة التي ضبطتها الحكومة الايطاليّة وجعلتها مكتبةً عموميّة ومكاتب الاديرة الانكليزيّة الغنيّة بوارداتها. وكانت في فرنسة

عدَّة مكاتب حافلة تضمضع اليوم شملها بضبط الحكومة المدارس اليسوعيين كمكتبة مدرسة القديسة جنفياف في باريس كان يرأسها احد مشاهير العلماء الاب كولمبيه (P. Colombier) ومكتبة مجلة الابحاث في باريس ايضاً ومكتبة ليون الشهيرة بآثارها التاريخيَّة . ولحذق اليسوعيين بنظارة المكاتب وكلّ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر الى الاب اهرلي (Ehrle) نظارة مكتبة الفاتيكان وولى الملك ليوبلد الاب ڤان دن غان (van den Gheyn) على حراسة الكتبة الملكيَّة في بروكسل

ومما يدلّ على ثقة ارباب الدول بالرهبان اليسوعيين في العلوم انَّهم انتدبوهم مرارًا لتمثيل دولهم في المؤتمرات والبعثات العلميَّة . كما فعلت الدولة الانكليزيَّة مرَّتين اذ عيَّنت الاب پرّي (Perry) لرصد انخساف الزُّهرة والاب كورتي (Cortie) لرصد كسوف الشمس . وكذلك ولَّت بلجيكة بعض اليسوعيين حضور المؤتمرات باسمها واستدعى شيخ الفاتيكان الاب اهرلي المذكور ودي كارا الايطالي (de Cara) الى مثل هذه الوظائف الشرفيَّة

هذا نظر اجمالي عن اعمال اليسوعيين في مدَّة القرن المنصرم ومنهُ يتَّضح انَّ رهبانيَّتهم لم تخب آمال الذين احيوها بعد موتها . ولا بُدَّ ان ننبِّه القرَّاء على امرَين : الاوَّل انَّنا لم نعرف كثيرًا من اعمال اليسوعيين في الاقاليم البعيدة كاميركة وغاليسية وهولندة فلم نلتمح اليها الَّا تلميحًا خفيفًا . والثاني انَّ اليسوعيين كانوا أتوا بما هو اعظم واوسع من ذلك لو اصابوا الحرِّيَّة الكافية في العمل فكم غُلَّت ايديهم بمناهضة اعداء الكنيسة وكم اثاروا عليهم من الاضطهادات واستصفوا اموالهم فطُردوا من روسيَّة اوَّلًا ثمَّ نُفوا مرَّةً من اسبانية وثلاث مرار من البرتغال ومرَّتين من فرنسة ومرَّة من ايطالية ومن المانية ومن سويسرة وكلّ ذلك بلا محاكمة ولا ذنب اقترفوهُ غير كونهم اعضاد الدين واعداء الثورة والماسونيَّة

وكذلك قد اضربنا عن ذكر اعمال اليسوعيين في الرسالات الاجنبيَّة لانَّنا نريد ان نفرد لهذا الموضوع مقالة خاصَّة ان شاء الله

فعسى ابناء القديس اغناطيوس ان يجروا في القرن الثاني بعد قيامة جمعيَّتهم في الخطَّة التي سلكوها حتى اليوم بل يزيدوا همَّةً في خدمة الكنيسة والمجتمع البشري لمجد الله الاعظم وخلاص النفوس